مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد التاسع عشر - المجلد الرابع - اللغة العربية - نيسان / 2022 م
doi.org/10.52866/esj.2022.04.19.11

المدرسة البغدادية مذهب مضطرب الاصول – غير ثابت الوجود دراسة تحليلية

م.م . محمد مزهر نصيف
مدرس في دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

مستخلص:

اذا كان التشدد والتعصب قد بلغ ذروته في بغداد بين المذهبين البصري والكوفي في منتصف القرن الثالث الهجري على يد المبرد وثعلب، فان التعصب قد انصهر وتلاشى، فكان عاملاً من عوامل ظهور المذهب البغدادي، ولم يعد النحو البغدادي يفرق بين نحوي بصري، أو نحوي كوفي، فكان يأخذ عن هذا، وعن ذاك، ويروي عن البصريين والكوفيين أومن الذين اشتهروا بالرواية عن المذهبين : الزجاج، وابو علي النحوي ، وابن جني ،وقد وجد البغداديون امامهم ثروة نحوية هائلة خلفها لهم البصريون والكوفيون .

الكلمات الافتتاحية: المذهب البغدادي – المذهب البصري – المذهب الكوفي – المذاهب النحوية– المدارس النحوية .

Al-Baghdadi School of thought is a doctrine of disordered origins that is not stable in existence An analytical study

Mohamed Mazhar Nassif
Teacher at the Department of Religious Education and Islamic Studies

Abstract :

If fanaticism reached its greatest intensity in Baghdad between the Basri and Kufi sects in the middle of the third century AH at the hands of Al-Mubarrad and Thalab, then the fanaticism had melted and vanished, so it was a factor in the emergence of the Baghdadi sect and the Baghdadi grammar no longer differentiated between Basri or Kufic grammarians, so he used to take On this, and on that, and the Basrians and the Kufics narrate, and among those who were famous for narrating from the two schools of thought are: Al-Zajjaj, Abu Ali Al-Nahawi, and Ibn Jinni.

The opening words of: the Baghdadi school of thought, visual doctrine, kufic sect, Grammar schools Grammar schools.

المقدّمة

الحمد لله المبدئ المعيد، والصلاة والسلام على أشرف من أظلت السماء، وأقلت البيد، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الوعد والوعيد

أَمَّا بعد:

فلَا شكَّ ان النحو العربي، منذ ان همَّ اهله بتدوينه، كان على مدارس نسبت الى المراكز الثقافية ان ذاك البصرة والكوفة، بعدها صار العلماء يتسابقون على نقل علمهم الى بغداد نهاية القرن الثالث عشر، وبداية القرن الرابع عشر المركز السياسي الثقافي المهم، فقد كانت بغداد من أهم المدن العريقة التي تتسم بالعلم والمعرفة، وإن لم يكن لها نصيب وافر كالبصرة والكوفة، من حيث نشأة النحو فيهما، إلا أن بغداد كان لها شأن كبير، عندما اتخذتها الخلافة العباسية عاصمة لهم بدلاً من دمشق، وقد اصبحت انذاك مأوى العلماء والدارسين، وربما كان العباسيون انفسهم يشجعون الناس للرحيل إليها، حتى يكون لها ما لا يكون لغيرها من هيبة وعظمة وتجلية، فهي «حاضرة الدنيا ومدينة الاسلام، ومظهر أبهة الخلافة، وجلال الملك، وكان علماء الكوفة أسرع الناس اليها فأكرم العباسيون لقاءهم»[1]

وقد قصدها جل العلماء، سواء كان لزيارتها، أو الاقامة فيها، أو لغيرها من المقاصد، ويعود ذلك الى ما بلغتها مدينة بغداد من المكانة العلمية والسياسية والاجتماعية .

الكوفيون كانوا أسبق من البصريين الى بغداد، فقد نالوا من الحظوة لدى الخلفاء العباسيين ما لم يحظ به البصريون نظرا لتأخرهم، وكثرة احتكاك الكوفيين بالحكام وتقربهم منهم، فكان طبيعياً أن يتأخر نحو البصريين في بغداد، ويكون الكوفيون هم أهل ريادة الحركة العلمية على بداية عهد بغداد .

فنشأ تيار في بغداد اراد ان يترك ما كان من الصراع بين المدرستين، ويحتكم الى الصواب في اختيار المسائل النحوية دون تعصب الى مذهب.

وقد ضم البحث مبحثين، سبقا بمقدّمة، وتلتهما بخاتمة، سُجل فيها أهمّ نتائج البحث، ثم اعقبت الخاتمة بقائمة المصادر والمراجع، وقد عرض في المبحث الاول نشأة المذهب البغدادي وموقف القدماء والمحدثين منه، وفي المبحث الثاني تناولت اهم اصول هذا المذهب من سماع وقياس واستشهاد بالقراءات والحديث والشعر.

ادعو الله تعالى ان يجعل جهدي هذا نافعا حائزا استحسانه، فما كان فيه من صواب فمِنْ مّنِّ الله تعالى عليَّ وتوفيقه لي، وما كان فيه من زلل فمن نفسي والشَّيطان، والله من وراء القصد، وفوق كل ذي علم عليم.

المبحث الاول

أولاً: نشأة المذهب البغدادي

لعل الذي ينبغي الالماح اليه، وقبل الولوج في مطلب هذا المبحث، انه باتت الحاجة ملحة الى الاستزادة في مسائل كثيرة، في الوقت الذي كانت المدن تحتضن مدرستين مهمتين هما البصرية والكوفية، فاصبح في بغداد في القرن الثالث الهجري مدرسة جديدة اطلقوا عليها (المدرسة البغدادية)، التي كثر عليها النزاع بين مؤيد ورافض لهذ المدرسة، وفيما يأتي عرض اراء العلماء وموقفهم منها

وينتظم عقد المسعى برصد واقع امام علماء المذهب الكوفي لبسط مذهبهم وقد نال القبول من الخلفاء والحكام والامراء، ويزداد انتشارا بين الدارسين، فكان أول من وفد إليها وذاع فيها صيته وبث آراءه الامام الكسائي، واستطاع ان يمكن المذهب الكوفي

(1) تاريخ أداب العرب: مصطفى صادق الرافعي، (المتوفى: 1356هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: – د.ط :1/ 387

في بغداد [1]،

وتذكر المصادر ان الفراء كان ممن اتصلوا بقصر الخلافة في بغداد اذ عمل في مجال التأديب، نشأ المذهب البغدادي حين جمعت بغداد بين طائفة من العلماء البصريين والكوفيين الذين قدموا الى بغداد. «ولا يعني هذا أن البصريين بسبب تأخرهم لم ينالوا نصيبهم العلمي في آرائهم النحوية، بل ذهب فريق منهم الى (بغداد) فأخذوا يعرضون افكارهم النحوية و المذهبية ليكون لهم أسس وشرائع في بسط النفوذ على العلماء كما هو الحال عند الكوفيين، وفي هذا الفترة ظلت الغلبة والتفرد للمذهب الكوفي» [2].

وقد تمايزت طوائفهم الثلاثة تبعاً لاختلاف نزعاتهم، وكانت الطائفة الخالطة بين النزعتين البصرية والكوفية تزاول المذهبين وتنظر فيهما نظرة غير مشوبة بالعصبية، فهي لا بد واجدة رجحان هذا المذهب في مسائل وذلك المذهب في مسائل أخرى، وكان عمل هذه الطائفة منبها بعض معاصريهم إلى استقراء ما صح من القوانين النحوية دون التحيز إلى فريق دون آخر، فجر ذلك إلى الخلط بين المذهبين لاستخلاص مذهب منهما مرضي عليه عندهم. [3]

وعلى هذا الاساس انتشر المذهبان فكان المبرد رأس مدرسة البصرة ، وثعلب رأس مدرسة الكوفة أ شاب الصراع بين العلماء، فأخذ كل منهم يعمل على دعم مذهبه، محاولا إظهار الأفضلية له ولمدرسته واصبح لكل فريق مؤيدين ومعارضين، وكل فريق يعرض باعته، ويستعرض علمه ويقيم حججه وبراهينه محاولا نقض حجج الفريق الأخر، وجذب الناس اليه[4]. منهم من أفردهم بمدرسة مستقلة كما صنع ابن النديم في الفهرست، وإن كان قد أدخل فيهم نفرا ليس لهم نشاط نحوي مذكور مثل ابن قتيبة، وأبي حنيفة الدينوري ومنهم من حاول تصنيف أفراده في المدرستين الكوفية والبصرية على نحو ما صنع الزبيدي في طبقاته. [5]

واذا توجهنا تلقاء اسهامات الباحثين المعاصرين، نلمس بعضاً منهم حاولوا أن ينفوا وجود المدرسة البغدادية، معتمدين على من ينظمون أفرادها في البصريين والكوفيين، وأن علمين من أعلام جيلها الثاني ينسبان أنفسهما في البصريين، وهما أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني، إذ يعبران في تصانيفهما عنهم كثيرا بكلمة أصحابنا، وينتصران في أغلب الأمر للآراء البصرية وكثيرا ما يطلق ابن جني على الكوفيين اسم البغداديين، وكأنهم مدرسة واحدة».[6]، ويثبت لنا من هذا التوجيه، إن طائفة من تلاميذ المبرد والثعلب نشأ جيل جديد امتلك خلفية كوفية او بصرية، ومنهم من اخذ من هذا وذاك ، وافاد من تلاقي الفريقين، متجه الى استقراء ما صح من القوانين النحوية بدون تحيز الى اي طرف دون اخر او محاولة اثبات الرأي بعصبية المذهب[7].

«ونتيجة ذلك نشأ فريق من النحاة يأخذ عن علماء المذهبين معا، ايذانا بأن تنزع المدرسة البغدادية نزعة بصرية قوية، والافادة من آرائهما جميعا، واستخلاص

(1) ينظر النحو العربي، نشأته وتطوره مدارسه، رجالاته، صلاح رواي، د.ط دار الغريب، القاهرة 441.

(2) المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مصطفى عبد العزيز السنجري، د.ط المكتبة الفيصلية، 72-71.

(3) ينظر : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوي ط2 ، دار المعارف . القاهرة . د.ط: 90 .

(4) ينظر: النحو العربي 445 ومن تاريخ النحو : سعيد الافغاني . د.ط دار الفكر، د.ت160-159.

(5) المدارس النحوية :شوقي ضيف، ط7 ، ار المعارف، القاهرة .د.ت : 245 .

(6) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة 1/ 18

(7) ينظر: نشأ النحو وتاريخ اشهر النحاة 185-184.

ما يرونه صواب الصواب ، وكان من اهم ما هيأ لهذا الاتجاه كان من اوائل النحاة الذين تتلمذوا على يد المبرد والثعلب»[1].

«ومن هنا انتهج هؤلاء نهجا جديدا في دراستهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من اراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا»[2]. فظهر على ايدي هؤلاء مذهب جديد يستمد اصوله وآراءه من المذهبين السابقين ، محاولا استخلاص الرأي الصواب من اي مصدر كان بعد التعمق في دراسة المذهبين، وهكذا تمت هذه الحركة وترعرعت واصبحت مذهب قائم بذاته.

في مختتم هذا التعريج، يرى الباحث ان هناك محالات من علماء النحو البغدادي، كان ينتخب من الاراء البصرية والكوفية ما يراه مناسباً، وهذا ادى الى عدم وضوح المنهج البغدادي ولم يستقر اصوله فيه .

ثانياً: موقف القدماء

ان تمام ما ندب اليه النحاة للمنهج البغدادي، وتفصيلا لتلك الجوانب المشتملة على تتبعه، لابد لنا من الوقوف على أراء القدماء، في نشوء هذا المذهب ان كان مذهب بالمعنى الدقيق ،اذ اختلف الآراء في قيامه، فمنهم من اثبته ومنهم من انكره فماذا قال القدماء، أهناك مذهب بغدادي بالمعنى الدقيق، له منهج ثابت، واراء نحوية محددة وشخصية متميزة من المذهبين البصري والكوفي؟ أم ان الامر مجرد نزوح بعض النحاة واللغويين الى بغداد ،من الكوفة أو البصرة، واستقرارهم فيها على الرغم من أراءهم المعروفة .

اذا توجهنا تلقاء رواد اهل الصنعة، فنجد ابا علي الفارسي فقد استعمل مصطلح البغداديين للدلالة على اراءه، فتاره ينتصر للبصريين وتارة للكوفيين، وتبعه في ذلك تلميذه ابن جني فقد كان اذا ما كرر رأيا للكوفيين في أكثر من موضع ، فإنه ينسب احدهما الى الكوفيين وفي الأخر إلى البغداديين [3].

وتذكر استاذتنا الدكتورة خديجة الحديثي ان ارباب الطبقات الاوائل كابن سلام، وبن قتيبة، لم يذكروا المدرسة البغدادية، كما أطلق هذا المصطلح على البغداديين الذين يميلون في آراءهم النحوية إلى المدرسة الكوفية فكانوا يتفقون في غالب آرائهم الى هذه المدرسة [4] .

اما السيرافي فقد خلط بين المذهبين من البصريين والكوفيين ولم يتطرق الى ذكر المدرسة البغدادية او يشير الى تسميتهم بالبغداديين، وكذلك الزبيدي لم يفرد طبقة لهذا المدرسة، اما اول من افرد مسما لأهل بغداد فهو المرزباني لكنه لم يذكر شيئا عن نحوهم في ترجماته ولم يبن عما جاء به نحوهم، وقد تبعه ابن النديم حيث سماهم قوم من النحوين خلطوا المذهبين ولم يصرح بانهم البغداديون او غيرهم، اما من جاء بعدهم فلم يقسم على المدارس وانما اكتفى بالتقسيم حسب القدم او اسماء بحسب الترتيب الالفبائي[5].

تداول هذه المدرسة جيلان: جيل أول كانت تغلب عليه النزعة الكوفية، وهو الذي يدور في كتابات ابن جني باسم البغداديين، من أمثال ابن كيسان، ثم جيل ثانٍ خَلَفَ هذا الجيل كانت تغلب عليه النزعة البصرية على نحو ما يلقانا عند الزجاجي، ثم أبي علي الفارسي، وابن جني مؤصل علم التصريف وواضع قوانينه الكلية»[6] .

(1) ينظر: المدارس النحوية شوقي ضيف 245.
(2) ينظر: النحو والنحاة : 117 .
(3) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 245 ، والمدرسة البغدادية في تاريخ النحو: محمد حسني محمد ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986 : 155.
(4) ينظر: المصدر السابق 158-157.
(5) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 203-200.
(6) المدارس النحوية: 6 .

ثالثاً: موقف المعاصرين

مما يستقر في منطق اهل العلم من النحاة، انهم لم يستعملوا في مصنفات كتبهم مصطلح (البغداديين) الاسم المراج بالمنهج البغدادي، وانما كانوا يطلقون عليه مصطلح (الخلط) او الجمع بين المذهبين. ويعود السبب الى ان اغلب علماءه ينتمون الى الكوفة او البصرة، والبعض اطلق مصطلح البغداديين يراد بهم الكوفيين، لانهم كانوا اسبق بالقدوم الى بغداد من البصريين»[1]، والذي يؤيد هذا الرأي قول المبرد في كتاب لابن السكيت اذ يقول: «ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب ابن السكيت في المنطق»، وابن السكيت معروف بانتمائه للمدرسة البغدادية [2].

والمتأمل بروية ولطف في اقوال العلماء يرى إنَّ» أكثر المعاصرين الى عدم الاعتراف بوجود مدرسة او مذهب نحوي في بغداد بل بعضهم انكر وجود مدارس نحوية بالمطلق، وارتجل اسما جديدا بدلا من المدرسة او المذهب هو الدرس النحوي مضاف إليه المعان فقالوا: الدرس النحوي في البصرة او في الكوفة او في بغداد»[3].

اذ يطالعنا الدكتور عبد الفتاح شلبي الذي ينكر وجود مدرسة بغدادية قائمة بذاتها تمتلك مقومات مدرسة، وان الأمر لا يعدو كون نحاة خلطوا بين آراء المدرستين البصرية والكوفية، وان كانوا في الأصل ينتمون أو يميلون في آرائهم إلى إحدى المدرستين[4].

وتابعه الدكتور مازن مبارك في كتابه (الرماني النحوي)، اذ لا يختلف كثيراً عن رأي شلبي، فهو يرى ان بغداد اتسعت للمذهبين البصري والكوفي، وان علماء النحو فيها منهم من كان يميل الى البصرة او الكوفة، الا ان هذا الطائفة الجديدة لا تشكل مدرسة نحوية جديدة، لأنها لا تحوي او لا تشمل منهجاً نحوياً مستقلاً، وانما نحوها اما بصري او كوفي، اما وجود اراء تفرد بها هؤلاء فهذا لا يعني انها تشكل مدرسة جديدة في النحو»[5].

وممن دعم هذا الاتجاه استاذنا الدكتور فاضل السامرائي (حفظه الله) اذ ينفي وجود مدرسة بغدادية؛ لأنه يشترط في اطلاق مصطلح المدرسة الاستقلال في الراي، ووجود كيان خاص وهذا لم يثبت وجوده عند البغداديين، ويرى ان المكان لا يصلح قاعدة لقيام مدرسة مستقلة وكيان خاص، فالمبرد وثعلب عندما انتقلا الى بغداد لا يمكن عدهما بغداديين، وان المدرسة البغدادية اذا كانت مستقلة في الاسس التي تتبعها وفي اصول البحث وفي المصطلحات حينئذ يمكن اطلاق اسم مدرسة عليها لكن هذا لم يثبت [6].

اما الدكتور مهدي المخزومي يرى ان نحاة بغداد اخذو عن البصريين وعن الكوفيين، وكل ما في الامر انهم خلطوا بين المذهبين، «وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء والذي يسر لذلك وجود الفريقين في بغداد [7]»،

وتذكر استاذتنا الدكتورة خديجة الحديثي ان الدكتور المخزومي في كتابه (مدرسة الكوفة) يرى ان الذين ترددت تسميتهم في كتب التراجم بالبغداديين

(1) ينظر: مراحل تطور الدرس النحوي: عبدالله بن حمد الخثران، د.ط دار المعرفة، الجامعة الاسكندرية 130.

(2) ينظر: نزهة الانباء : زهة الألباء في طبقات الأدباء المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ) المحقق: إبراهيم السامرائي الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن الطبعة: الثالثة، 1405 هـ – 1985 م : 179

(3) ينظر: الدرس النحوي في بغداد، بحث رقمي، حيدر غضبان محسن الجبوري160 ، ومدرسة بغداد النحوية ،5.

(4) ينظر: ابو علي الفارسي: 447–445 نقلا عن المدرسة النحوية خديجة الحديثي 207.

(5) ينظر: الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: مازن مبارك ط3، دار الفكر المعاصر بيروت : 327.

(6) ينظر: ابن جني النحوي: د. فاضل السامرائي، د.ط دار النذير، 1969: 154–251 .

(7) ينظر: الدرس النحوي في بغداد 7–5 .

انما هم الكوفيين انفسهم؛ لان مدرستهم لم تكن ذائعة الصيت، او معروفة بهذا الاسم، فكانوا يسمونهم في بغداد بالبغداديين[1].

وهناك من ذهب الى اثبات وجود مدرسة نحوية ثالثة باسم المدرسة البغدادية، وممن نحا هذا المنحى الشيخ محمد الطنطاوي الذي يرى ان الذين مزجوا بين المذهبين النحويين في بغداد بعد وفاة ثعلب والمبرد وان قلوا فانهم يمثلون مدرسة نحوية مستقلة لها خصائصها [2] .

ولم يذهب بعيدا عن هذا الرأي احمد امين الذي يرى ان عرض المذهبين ونقدهما، والاختيار منهما كان سبب في وجود مدرسة ثالثة تنتهج الوسطية والرأي العلمي في اخذ القاعدة النحوية بغض النظر عما اذا كانت بصرية أو كوفية [3].

ومن المستشرقين من دعم هذا الاتجاه بروكلمان، الذي يقول بتقسيم العرب الى ثلاث النحو الى ثلاث مدارس، جاعلا مدرسة بغداد نتيجة الخلط بين المذهبين من قبل نحاة بغداد، ويرى ان الجيل الذي جاء بعد المبرد وثعلب لا يمكن ان يعد بصري او كوفي [4]

ننتهي عقب هذا التنظير من اراء العلماء، وما تستكنه النفس، من دون تحيز او ميل لجهة ما، ان كثير من علماء المنهج البغدادي كانوا يحملون الفكر الكوفي او البصري وهذا ما ينفي وجود المذهب البغدادي، ولو زعم بعضهم بوجوده فنقول ان علماءه هم انفسهم اهل البصرة والكوفة لكنهم ذهبوا الى بغداد لاثبات الوجود فقط .

المبحث الثاني
اصول المذهب البغدادي

أولاً: السماع

اذا ما افترضنا بوجود المنهج البغدادي فكيف كانت اصولهم واخذهم باراء اهل العلم، نستهل حديثنا عن المذهب البصري الذي كان يتشدد في الأخذ عن العرب، ولم يقبل الا ما سمع من العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته، وهم سكان البوادي ونجد والحجاز وتهامة من قيس وتميم واسد، اما المذهب البغدادي فلم يميزوا بين لغة واخرى من لغات العرب، او يفضلون لغة على اخرى، فاللغات عندهم يحتجون بها، ولا يجوزون ان ترد لغة من اجل ان تقبل اخرى[5]. واشهر قول يدلنا على ذلك قول ابن جني في الخصائص: (في باب اللغات على اختلافها حجة، اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال «ما» يقبلها2 القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك؛ لأن لكل واحد من القومين ضربًا من القياس يؤخذ به ويخلد إلى مثله. وليس لك أن تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها؛ لأنها ليست أحق بذلك من وسيلتها. لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسابها. فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. أوَلا ترى إلى قول النبي ﷺ: «نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ»)) [6].

وهذا يدل على انهم لم يكونوا متشددين في الاخذ فن فصحاء العرب على غرار البصريين الذين كانوا يفاضلون بين قبائل العرب ولا يأخذون الامن تنطبق عليه معايير الفصاحة التي وضعوها، وحددوا قبائل معينة لأخذ اللغة منها [7].

(1) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 208،209 .
(2) ينظر: نشأة النحو العربي وتاريخ اشهر النحاة 184،185.
(3) ينظر: ضحى الاسلام193/ 2، 194 .
(4) ينظر: تاريخ الادب العربي 127/ 2 .
(5) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 128 .
(6) الخصائص (2/ 12) .
(7) ينظر: النحو في بغداد 3 .

كما انهم اخذوا عن الاعراب الذين توطنوا في الحاضرة، فهم في ذلك يقفون وسطا بين المذهبين، فلا يميزون بين لغات العرب، يأخذون باللغة من غير رفض الاخرى أو تضعيفها، كما انهم اخذوا عن الاعراب الذين يحيطون بالحواضر [1].

ثانياً: القياس

وقف البغداديون موقفا وسطا بين مذهب البصرة ومذهب الكوفة في القياس، اذ يقوم القياس عند البصرين في بناء القواعد على الأغلب الشائع في لسان العرب ومن ثم استخلاص القواعد والأصول العامة التي تنطبق على جزيئاته، فهم يقيسون على المصدر الكثير من الاستعمال[2]،والكوفيون توسعوا في القياس، فقد قاسوا على القليل والكثير والشاذ والنادر فهم يأخذون كل ما يسمعون من العرب[3].

اما البغداديون فقد وقفوا موقفا ومحايدا بين المذهبين في القياس، فقد يقبلون المثال الواحد الشاذ وفق مبدأ معين وبعد مناقشة عقلية له، فقد يكون لا نظير له في الالفاظ المسموعة مع نطق العرب به وهذا يقبل عندهم لعدم وجود ما يخالفه، أو صدر ممين ترضى فصاحته، وان كان قليل، فهم يقبلون المثال الواحد بعد مناقشة ونظر [4]. كما قبل البغداديون القياس على النادر والشاذ ، فالفارسي اجاز دخول ال على الفعل المضارع قياسا على قول الشاعر

يقول انحتى اوبغض العجم ناطقا

الى ربنا صوت الحمار اليجدع [5]

«فأدخل الألف واللام على الفعل، وأجمعنا على أن استعمال مثل هذا خطأ لشذوذه قياسًا واستعمالًا، فكذلك ههنا، وإنما جاء هذا لضرورة الشعر، والضرورة لا يقاس عليها»[6]، ولم يكتف البغداديون بالقياس على المفرد و النادر فحسب، وانما كانوا احيانا يقيسون على غير مثال او يقيسون من غير الاعتماد على السماع، فقد اجاز ابن جني اظهار العامل اذا كان من العوامل التي تقدر من الافعال نحو(كائن او حاصل) مثل: زيد في الدار، فجائز عنده ان يقال زيد كائن في الدار من غير الاعتماد على سماع من رفض من الجمهور وذلك [7]، «فنهجهم في القياس يتضمن أحياناً كثيرة القياس على المثال الواحد، وعلى النادر، وعلى غير النادر سماعا، وهذا يؤكد وسطية منهجهم بين الكوفيين والبصريين» [8].

ثالثاً: الاستشهاد بالقراءات القرآنية والحديث الشريف

لعل موقف البغداديين في هذا الجانب لا يختلف كثيرا عما سبقه في انهم يأخذون موقفا وسطا بين المدرستين الرئيستين في النحو، فقد كان البغداديون يرون ان القران محكم لا يتكلم العرب شيء اجود منه، لذا كان ابن الجني يرى ان الشاذ قد يكون مساويا في الفصاحة للمتواتر، مدعوما بالرواية التي تثبت صحة رسوخه فلا يجب على هذا الاساس رده او الغض منه،

(1) المصدر السابق 131
(2) ينظر: مراحل تطور الدرس لنحوي 131
(3) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 139-138.
(4) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 136.
(5) ينظر: خزانة الادب: زانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ : محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب: دار الكتب العلمية بيروت : 1998م 14/ 1 نقلا عن مدرسة البغدادي 135.
(6) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين (1/ 123)
(7) ينظر: شرح الكافية : شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ) المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة الطبعة: الأولى:93/ 1.
(8) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 136.

وكان يحرص على قول الشاذ الذي تدعمه الرواية، ويرى ان روايته عن الرسول من اقوى أسباب الأخذ به، وهذا يمثل رأي البغداديين الذين يقبلون بالقراءات الشاذة المدعومة بالدليل، اما اذا افتقرت للدليل فيرفضوها[1].

وهم بذلك يقفون موقفا وسطا بين البصرين الذين يرفضون الاستشهاد بالشاذ دون مناقشة[2]، وبين الكوفيين الذين يأخذون بالشاذ مطلقا دون مناقشة او تمحيص[3].

اما الحديث النبوي الشريف فإن النحاة الاوائل بصريين وكوفيين لم يعدوه من اصول الاحتجاج ولا اعتمدوا عليه في استنباط قاعدة او ثبات ظاهرة يؤخذ بها او قياس عليها[4]. وخرج البغداديون على السنة التي سار عليها اسلافهم من اتباع المدرستين فاتخذوا من الحديث مصدرا من مصادر السماع الاساسية واحتجوا به في مواطن كثيرة حتى وصلت الى حد المبالغة. وتذكرهم المصادر ا ن ابا علي الفارسي من اوائل الذين أكثروا من الاحتجاج في الحديث الشريف[5].

رابعاً: الاحتجاج بالشعر

«قسَّم النحويون الشعراء الى اربع طبقات، الجاهليون، والمخضرمون، الإسلاميون (المتقدمون)، المولدون او المحدثون، فالبصريون احتجوا بشعر الطبقات الثلاث الاولى ووقف الاحتجاج عندهم»[6]، وتبعهم في ذلك الكوفيون مضيفين اليه ما كان يرويه الرواة في الكوفة من اشعار الطبقات الثلاث من اشعار المعاصرين [7]. اما البغداديون فقد استشهدوا بشعر المولدين امثال ابو تمام والمتنبي والبحتري وابرز من استشهد بشعر المولدين من البغداديين ابو علي الفارسي والزمخشري[8].

الخاتمة

بمنّة من الله وفضل استطعت انجاز هذا البحث، وقد توصلت إلى نتائج أهمها:

1. تاريخ المدرسة البغدادية لم يحدد بزمن، فهو يبدأ من منتصف القرن الثالث عشر الى بداية القرن الرابع عشر وهذا يفسر وجه من وجوه الاضطراب.
2. ان هذا الخط النحوي نشأ نتيجة احتدام الصراع بين المدرسة البصرية ممثلة بالمبرد وحلقته من جانب، والمدرسة الكوفية ممثلة بثعلب وحلقته، فنشأ جيل سئم الخلافات ، واراد ان يأخذ بما يراه صواب من كلا الفريقين .
3. اختلف القدماء في تسمية اصحاب هذا المذهب، فمنهم من اطلق عليهم ممن يمزجون بين المذهبين، ومنهم من اطلق عليهم البغداديين واراد بهم الكوفيين، والذي صرح بذكرهم فقط المرزباني من دون الاشارة الى نحوهم.
4. ان اغلب علماء العصر الحديث بينوا ارائهم وموقفهم من المنهج البغدادي رافضين وجود هذه المدرسة لفقدانها مقومات المدرسة.
5. ان هذا المذهب النحوي اتخذ موقفا وسطا بين من حيث اصوله النحوية، اذ اخذو عن جميع القبائل ولم يفاضلوا بينها، وقاسوا على الشاذ والمثال الواحد مع التثبت من صحته، واستشهدوا بالقراءات المتواترة والشاذة، وكانوا اثر ممن سبقهم في الاستشهاد بالحديث، كما استشهدوا بشعر المولدين ايضا.

(1) ينظر: الدرس النحوي في بغداد 3
(2) ينظر: المدارس النحوية 0(خديجة الحديثي) 77.
(3) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 137
(4) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 78-77.
(5) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 142.
(6) ينظر: المدارس النحوية (خديجة الحديثي) 76.
(7) ينظر: المصدر السابق 129.
(8) ينظر: المدرسة البغدادية في تاريخ النحو 147-143.

المصادر والمراجع

1. ابن جني النحوي، فاضل صالح السامرائي، د.ط، دار النذير، 1359هـ- 1969م.
2. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، **عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ) الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى 1424هـ- 2003م**
3. تاريخ الادب العربي، بروكلمان،ط2، مطبعة دار المعارف، مصر،1968م.
4. تاريخ اداب العرب مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: 1356هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: - د.ط.
5. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: الرابعة
6. الدرس النحوي في بغداد، بحث رقمي، حيدر غضبان محسن الجبوري.
7. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، ط3 ، دار الفكر المعاصر، بيروت، د . ط.
8. ضحى الاسلام، احمد امين، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر، القاهرة،1966م.
9. المدارس النحوية. خديجة الحديثي، ط3، دار الامل، الاردن، د.ت.
10. المدارس النحوية، شوقي ضيف، ط7، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
11. المدرسة البغدادية في تاريخ النحو، محمد حسني محمود،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ- 1986م.
12. المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، مصطفى عبد العزيز السنجري، د. ط، المكتبة الفيصلية، د. ط.
13. مراحل تطور الدرس النحوي، عبد الله بن حمد الخثران، د. ط، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، 1993-2413.
14. من تاريخ النحو، سعيد الافغاني، د.ط، دار الفكر، د. ت.
15. النحو العربي نشأته .تطوره. مدارسه. رجالاته، صلاح رواى ، د.ط، دار الغريب، القاهرة،2003م.
16. النحو والنحاة المدارس والخصائص، خضر موسى محمد،ط1، عالم الكتب، بيروت، 1423هـ- 2003م.
17. نشأة النحو العربي وتاريخ اشهر النحاة، الشيخ محمد الطنطاوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
18. نزهة الانباء: زهة الألباء في طبقات الأدباء المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ) المحقق: إبراهيم السامرائي الناشر: مكتبة المنار، الزرقاء- الأردن الطبعة: الثالثة، 1405 هـ 1985م: 179 .
19. خزانة الادب: زانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ : محمد نبيل طريفي/ اميل بديع اليعقوب: دار الكتب العلمية بيروت : 1998م 14/ 1 نقلا عن مدرسة البغدادي.
20. شرح الكافية : شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ) المحقق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية مكة المكرمة الطبعة: الأولى.